

حقيقة السومريين .. نظرية عراقية جديدة

ناجح المعموري

ونتائجها . أن نظرية د. نائل حنون عن حقيقة السومريين التي تنطوي ضمنا على السؤال الخطأ والحقائق المجهولة وتعمق هذه النظرية في قراءة التاريخ السومري وتفكك الالتباسات الكثيرة في المشكلة السومرية ، والتي تنطوي على كثير من الأسئلة حول أصل السومريين على افتراض أنهم قوم غرباء عن بلاد الرافدين وقد ساهموا بشكل ساطع ومعروف بصناعة حضارة ، اعترف العالم كله بأهميتها ودورها في إثراء وإغناء الحضارات المجاورة ، مثل الحضارة المصرية وأشار الأستاذ د. أحمد فخري المتخصص بالمصريات بالدور السومري الواضح في بدايات الحضارة المصرية وحصرها قبل عصر الأسرات المصرية ولكن في أيام الأسرة الثالثة المصرية كان هناك تيار حضاري آخر بين البلدين وسار في هذه المرة من مصر الى بلاد الرافدين .

وما يثير الانتباه في نظرية الأستاذ د.نائل حنون هو عدم وجود قوم باسم السومريين سوى اللغة التي

مقاطع رمزية في الخط المسماري تمثل كلمات بابلية وآشورية وأشار العالم د . نائل حنون الى ملاحظة علمية دقيقة للعالم " هنكس " لأنها داعمة لتوصلاته : أن الكتابة المسمارية ابتكرت من قبل قوم من غير البابليين والاشوريين واستعملت من قبلهم لتدوين لغتهم ، وإن أولئك القوم كانوا هم السابقين في استيطان بلاد بابل وآشور ، وحين جاء البابليون والاشوريون اقتبسوا تلك الكتابة ودونوا بها لغتهم بعد أن كيفوها لتكون قابلة للتدوين بالخط المسماري . ولاحقا وفرت تطورات البنية الذهنية اختراع الأبجدية ، وقادت المقطعية الى الأبجدية ووضعت البشرية على عتاب مرحلة حضارية متقدمة .

وأوضح د. نائل حنون معلوماته التي اعتمد عليها لاقتراح نظريته الخاصة بالسومريين ، وتعامل معها باعتبارها مجموعة من الأدلة تؤكد بأن السومريين من سكان العراق القديم وهي بشكل موجز :

اللغة السومرية هي لغة منفردة لا تعود الى عائلة لغوية قديمة أو حديثة معروفة . وقوام هذه اللغة

ظهرت في النصوص السومرية أسماء لهجات تدل أما على مستوى اللغة أو على مهن مستعمليها . ومن هذه اللهجات نذكر : اللغة الاعتيادية " اللغة الأنثوية " وهي اللغة العظمى ، اللغة المصطفاة ، اللغة المتتوية ، لغة الرعاة ، لغة الملاحين ، ومن هذه التسميات لاحظ د. نائل حنون بأنها لم تكن لهجات لغوية محكية بالمعنى المألوف وهي طرق لاستعمال مفردات معينة أو تلفظها بطرق معينة ، واللهجة المعروفة منها هي المسماة " اللغة الأنثوية " لاستعمالها في المؤلفات الأدبية وظهرت في العصر البابلي القديم ، وبعبارة لم تشهد السومرية لغة ابتكرت لترسم على الألواح أكثر من كونها لغة محكية أمكن اختراع كتابة لها .

ذكرت النصوص المسمارية أسماء الأقوام القديمة ولكنها لم تشر للسومريين ، ونجد فيها ذكرا للإكاديين / الأموريين / الآشوريين / العيلاميين / الكاشيين / الأراميين / العرب / المصريين ، وحتى أقوام بعيدة مثل الهنود وحين ترد كلمة سومري في النصوص السومرية فأنها تدل على معنى " كاتب اللغة السومرية " وليس سومري القومية .

اتضح لنا . والكلام للدكتور نائل حنون . من خلال العمل على مادة المعجم المسماري ، أن المقاطع الرمزية السومرية التي كتبت بها الكلمات الأكادية وترادفها في المعنى كانت توضع من قبل الأكاديين بدليل أن العديد منها قد وضع بعد مئات السنين من التاريخ الذي يعتقد أن اللغة السومرية انتهت فيه كلفة محكية وان وجود السومريين القومي قد انتهى .

اعتمد الباحث على أسماء الأعلام المصاغة باللغة السومرية للاستدلال على أن حملتها أشخاص من الشعب السومري الفترض . ولكن الشواهد توضح أن هذه الأسماء استعملت لأشخاص إكاديين وبالتالي فأنها

كانت أمراً متاحاً من لغة موضوعة في المجتمع نفسه . ولعل من الأمثلة المثيرة على أن " أنخدو . أنا " الأدبية التي كتبت باللغة السومرية والأكادية وهي تحمل هذا الاسم السومري ولكن من المعروف بأنها ابنة سرجون الأكادي . فهل يعقل أن ينجب الأب الأكادي ابنة سومرية ؟ ويقدم الباحث أمثلة أخرى دالة على نظريته ، وهي متماهية مع أنموذج ابنة سرجون الأكادي وقال : مثال آخر من سلالته أور الثالثة التي تألفت من خمسة ملوك خلف كل منهم أباء في الحكم . أن إسمي الملكين الأولين من هذه السلالة " أور. نمو وشلجي " كانا سومريين أما ابن شلجي أمار. سين أو بور رسين فقد حمل اسما أكاديا ولكن حفيده " شو. سين " حمل اسما سومريا ، بينما ابن الأخير " ابي. سين " حمل اسما أكاديا . وليس من المعقول أن يكون الملوك من قوميتين مختلفتين وهم من نسل واحد .

توحي العقائد في بلاد الرافدين من خلال ممارستها بوجود شعب واحد له عقيدة دينية واحدة وعبد الآلهة نفسها طوال تاريخه . ولا يتناقض ذلك أنه أطلق أسماء سومرية أو أكادية على عدد من الآلهة التي عبدها . وكانت أبواب الأدب باللغتين متطابقة، ما يدل على تماثلها ، وفي أحيان كثيرة يكون النص الأدبي الرمزية السومرية التي كتبت بها تلك الأبواب المتطابقة في النصوص السومرية والأكادية هي: قصص الآلهة والأبطال ، الترانيم ، المراثي ، الرسائل الأدبية ، المناظرات والحوارات ، أدب الحكمة ، أدب السحر ، الهزل والهجاء ، ونصوص متفرقة .

كانت بناية كل معبد تشيد في العصور التاريخية ويتوجب أن تحمل

اسماً باللغة السومرية واستمر هذا العرف الى آخر عصور تلك الحضارة . ونظرا لما لأبنية المعابد من أهمية وقديسية فلم يكن ممكناً أن يستمر الأكاديون في تسمية معابدهم بأسماء سومرية إذا كانت هذه لغة شعب آخر . وانتهى الدكتور نائل حنون بهذه الإشارة الدالة على نظريته وهي أن المقاطع الرمزية التي وجدت في السومرية دون أن تكون لها قيم صوتية وهذا ما بنيت أنها قد دخلت الى السومرية من اللغة الأصلية (وهي الأكادية كما نعتقد) على يد أصحابها الذين ابتكروا اللغة السومرية لغرض التدوين .

تكشف النظرية العراقية الجديدة التي توصل اليها العالم د.نائل حنون معلومات مهمة توصل إليها

الباحث بطريقته العلمية ومنهجيته الدقيقة . واعتماده الواضح على التاريخ العراقي القديم والكشوفات الأثرية . ومن هنا أعتقد بأن هذه النظرية ستثير كثيراً من الحوارات أو اختلافاً وأنا أكثر ميلا لنظرية د. نائل حنون التي تعاملت مع السومرية باعتبارها لغة كتابة وليست للتخاطب ولأيد لي من تكرار ملاحظتي التي قلت بها منذ زمن معقبا على محاضرة د. نائل في بابل وهي أن الصابئة ولأيد لي من تكرار ملاحظتي التي قلت بها منذ زمن لغتها خاصة بهم . وهذا لا يعني بأن وجود لغة للكتابة أو التخاطب دليل على وجود عرق مستقل.

مراهقة اللغة والعواطف لعاشق كردستاني

فیدونک لا یتماء لی سوی الضیاع..
بجئونُ أحبک ..بجئون.

يقدم الشاعر قصيدة رديئة وساقطة، فنيا، عن أجمل مدينة في كردستان. فالسليمانية بتاريخها المشرق والمشرقي، من جميع النواحي، وفي كافة العصور، تحجل من هذه السطحية في الشاعر والعواطف. ففي سبيل خلق قصيدة، على الشاعر أن يمتلك أدواته الفنية بالدرجة الأولى، وعليه أيضا أن يحرر طاقة المعاني في رصد الصور الشعرية.

فمن واجبات القصيدة، أن تعكس الإبداع، لا مراهقة اللغة والعواطف:

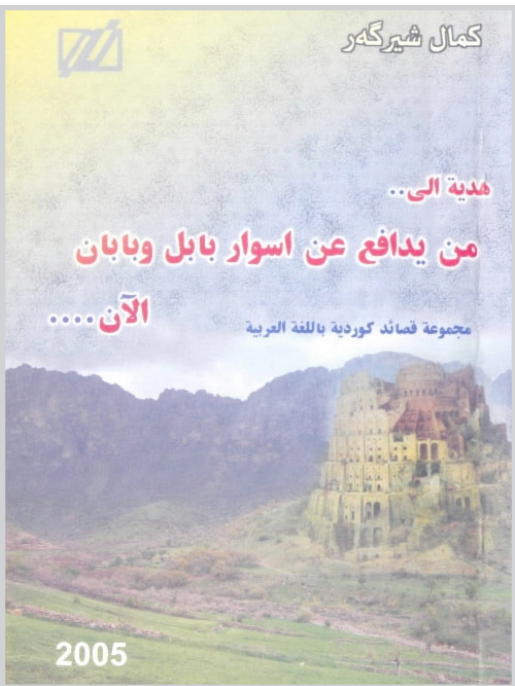
من لی سواک یا وطنی
أنت الوجود أبدا.
أنا ذرة تذوب شوقاً إليك
أتحدی المستحيل معک.
هذا الجدار الصلب أمامک
أعبر محیط اللانهاية
الذي یفصلنی عنک
لأننی لا أستطیع إلا أن أكون
لک
وأن تكون أنت لی
ولأننی لم أجد منفکاً منک
فأنت تسکننی
تسکننی ..تسکننی.

اعرف أن الذاكرة انتقائية، فهي تتذكر أن هو مناسب لها . والكردی على مر العصور، قدم، وما زال يقدم الغالي والنفيس لهذا الوطن. حيث لا يوجد وطن على وجه الأرض، عاني ما عانته كردستان. ورغم ذلك أقول: الصلح – وحده – في الشعر، لا يصنع قصيدة عظيمة، لأنني أعرف أن الشاعر كمال شيركه ر، يعشق كردستان حد الجنون. وأعرف أن مشاعره كلها صادقة. لكن أمام بظظة الحياة – من جديد – كردستان، يجب أن تقابلها بظطة شعرية أيضا، لتعميق هوية المبدع الكردي، في التفاعل الحضاري الحي، لخلق نموذج شعري، على غرار الشعراء: شيركو بيكس، لطيف هلمت وعبدالله بيشو.

تحت عنوان "حذاري أن تكسري زجاجة قلبي".
والآن، وبعد كل هذه الأعوام، ينجح الشاعر في طباعة مجموعته الشعرية الثانية "هدية إلى من يدافع عن أسوار بابل وبابان الآن"، وهي من منشورات وزارة الثقافة في كردستان.

أن مقياس شعرية كمال شيركه ر، هو في إبتعاده عن منطقة النجاح والإخفاق. فالشعر بوصفه عالما حيويًا قائمًا بذاته، له قوانينه وخصائصه الذاتية، يفشل في مهمته هذه، بسبب الشعارات، والأهات، والعواطف الإنسانية والقومية، التي لا علاقة لها بالإبداع. كما في قصيدته "سليمانية مدينتي الحبيبة"،

مدينتي الحبيبة
حين أقول أسمك، أقول كل شيء
هل هناك ما يعادل اسمك
أي صفة أحمل إن لم تكن
صفة الإهتمام إليك



غير فواتير ومسودات قصة أعدها للتصحيح في المصنف...
في المنتجع، استمتع بأيامه على الشاطئ، ولم يعكر صفو مزاجه غير إقامة حفل راقص في الفندق، ومن بين الحضور لمح صديقه هانزو أنجه.. وعاص في وحدته متلذذا بعذابياته، وهفا إلى أن يكون كبقية هؤلاء البورجوازيين الشقير، يحب ويرقص ويحرق...
ورقص نفس الرقصة الرباعية مع أنجه، وغمره عطرها، ثم انقلب الاحتفال إلى رقص أعنف، وأله أنه غير قادر على المشاركة في هذه البهجة الصاخبة... وحلم بأن تنتبه أنجه إلى انسحابه الصامت من الحفل، فتتبعه وتطلب منه العودة وتصرache بأنها تجه.. لم يكن هذا سوى خاطر حال، فتسلل إلى غرفته، واستلقى في فراشه غارقا في مونولوجاته...

إنها رواية استغوار وغوص باطني بامتياز.. لكن الكاتب سقط في فخ التبريرية و الخطابة المباشرة ، وقام بتلخيص الرواية.. و وضع أفكار طونيو كروجرو أحاسيسه وقناعاته بعد هذه التجربة، وذلك بتشرح شخصيته وتعريتها في الفصل الأخير... وكان بإمكانه الاكتفاء بلحظة تناول القلم و الشروع في كتابة رسالة إلى صديقهته الرسامة كما وعدنا.

في هذا الفصل حرق توماس مان الرواية كلها.. لكنه تطرق في روايته إلى جدلية الفن والحياة، وأحسن الفارئ بأن شخصو الرواية من دم ولحم، وليست مجرد انعكاس بارد لأفكار فلسفية جافة.

ختاما لا يفوتني التنويه بالترجمة الرائعة للكاتب المبدع يحيى حقي، وان تخللت أسلوبه المبدع بعض الكلمات من العامية المصرية، وكذلك أشيد ببدايا المدي متمثلة في سلسلة (الكتاب للجميع).

على سبيل الختام:
"أكتب لأحمي نفسي من الجنون ومن فكرة الانتحار"

- سميح القاسم-

" طونيو كروجر" لتوماس مان:

في الحياة متع أهم من انزالية القراءة والكتابة



توماس مان

ونظم الشعر!

♦العاطفة:

عاش طونيو كروجر معذبا بحبه الصامت لآنجه أنجبور هولم بنت الطبيب المحبة للحياة ومتعها، المرحلة المنطلقة، ولم تكن مثل طونيو الذي يحس بالشجن يستبد قلبه كلما قرأ روائع شعرية يحس بالعجز عن الإتيان بمثلها...

وأحس بالهوان حين ارتبك في حضرتها، وأدى حركات رقص خاصة بالفتيات، فسخر منه أستاذ الرقص، وجعله أضحكة الحضور. بعد وفاة الأب، تزوجت الأم موسيقيا، وصاحبتة في رحلاته إلى بلاد بعيدة مشحمة، وإن تجاهل الكاتب هذه النقطة، ولم يركز على عواقبها النفسية، بل انتقل إلى سرد مقتضب لهجرة طونيو كروجر مدينته في اتجاه أقاليم الجنوب التي تجري في عروقها دماء أهاليها.. وأنغمس في التطهر الروحي.

♦الإبداع:

يشكو طونيو كروجر إلى صديقهته

استطاعت هذه الرواية القصيرة أن تشغلي عن متابعة مصائر شخص رواية (صبيادون في شارع ضيق) للرائع جبرا إبراهيم جبرا، رغم أني تجاوزت في قراءتها – أو بمعنى أصح تصفحها.. لأن رواية جبرا إلكترونية (نسخة – pdf) أكثر من النصف.. وهذا يدل على أن للكتاب سحره الخاص، عكس القراءة الإلكترونية.

تنهض رواية توماس مان على ثلاثة محاور، كان لها تأثير كبير في حياة طونيو كروجر، سنحاول التطرق إليها باقتضاب في هذه الورقة :

♦البيئة الاجتماعية:

كان طونيو كروجر يصرف وقته في نظم الشعر رغم أن هذا السلوك– والذي يتطلب انعزال الناس– نشاز وانحراف في نظر طبقته الاجتماعية، وكان لا يمنح الدروس إلا ههنا شاردا حتى ساء رأي أستاذته فيه، وجعل إياه المنفصل كروجر ويعنفه، أما أمه ذات الأصول الجنوبية فلم تكن تبالي به ولا تكافئه سوى ب "رتين القبيلات والالحن"، وكان يحس في دخيلة نفسه أنه يحتاج توصيخات الأب حتى يتأقلم مع حياته البورجوازية، لأنه ليس من عجز رجل بيوتهم عريات عطلية بلون أخضر".

وحتى اسمه، والذي هو اختزال لاسم خاله (انطونيو) كان مثار سخيرية صديقه المقرب هانز هانس في حضور أي رفيق آخر.. صديقه المرح الوسيم قصة الملك المنفرد الباكي في خلوته.. لأنه يدرك كبقية الناس (الأسوياء) أن في الحياة أشياء أهم من القراءة

حصاد المطابع

١٩٤٨

يأتى كتاب مينة موريس عن أولى حروب الصراع العربي الاسرائيلي بعد مرور ستين عاما عليه هذا الكتاب يقدم نظرة جديدة متعمقة في حرب ١٩٤٨، موضحا ابعادها السياسية، والدوافع التى أحاطت بها. يبحث موريس في الاسباب وراء الحرب، يسلط الضوء على التطورات



السياسية والعسكرية التى سببت مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، يحفر وراء دور الدول الكبرى بريطانيا والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى فى الصراع، ودورهم فى إنهائه عام ١٩٤٩، يتأمل فى عمليات صنع القرار فى الجانبين العربى والإسرائيلى ولدى الدول الكبرى.



يؤكد المؤلف رضوان السيد في الكتاب الصادر عن دار المدى بعد استعراض للبيدات الألمانية في مجال الاستشراق والتي استفادت من كتابات فرنسية وهولندية سابقة، أن الاستشراق الألمانى مثل مشكلة للباحثين العرب والمسلمين، ليس فقط بسبب إشكاليات الاستشراق بعامه، وإنما أيضا بسبب لغته.

الاستشرقون الآن

يؤكد المؤلف رضوان السيد في الكتاب الصادر عن دار المامون ... يقول عنه المؤلف (الشعر طائر الروح المثقل بهومو الانسان وتطلعاته المتسعة (الافاق) .

النساء والحب

لعشر سنوات خلت نسف التقرير الذي نشرته شير هايت الاساطير المتعلقة بالحياة الجنسية النسائية . وتصدت هايت بعدئذ لمعالجة الحياة الجنسية لدى الذكور وبشكل هذا التقرير الجديد حصيلة تركيبية لأعمالها السابقة ، كما انه في الوقت نفسه يبدق في نظر المرأة المعاصرة الى الحب والحياة الزوجية .

عبور الحاجز

عدد من القصائد المترجمة من الشعر العالمي قام بترجمتها د. ماجد الحيدر بعنوان (عبور الحاجز) صدر عن دار المامون ... يقول عنه المؤلف (الشعر طائر الروح المثقل بهومو الانسان وتطلعاته المتسعة (الافاق) .

انه يحلم او يلعب او يموت

صدرت الرواية الجديدة للكاتب العراقي أحمد السعداوي بعنوان (انه يحلم او يلعب او يموت)عن دار المسدي وتقع الرواية في ثمانية فصول، تبدأ بـ "كتاب الاقنعة" وتنتهي بـ"الإقامة في ال هنانك" وتمتزج فيها بالفرنطازية والأجواء الكابوسية. يذكران للسعداوي رواية أخرى بعنوان: البلد الجميل.

